المحاضرة الرابعة حول: الأسس المعرفية للنظرية السياسية (الدينية والسيكولوجية)

تعد **النظرية السياسية** مجالًا معرفيًا واسعًا يهدف إلى تفسير وتحليل ظواهر السلطة، الحكم، والنظام السياسي في المجتمعات. في هذا السياق، تُقدّم الأسس المعرفية للنظرية السياسية رؤى متعددة لفهم كيفية تشكّل الأنظمة السياسية، وكيفية إدارة السلطة والعلاقات بين الأفراد والدولة. ومن بين هذه الأسس، يمكن التمييز بين **الأسس الدينية** و **الأسس السيكولوجية** التي تؤثر بشكل كبير في تطور الفكر السياسي.

1- الأسس المعرفية الدينية للنظرية السياسية: تأثرت الكثير من النظريات السياسية في العالم بشكل كبير بالمفاهيم والمبادئ الدينية، حيث اعتبرت الأديان مصدرًا رئيسيًا للتوجيه السياسي والأخلاقي. وقد تكون هذه الأسس:

أ. العلاقة بين الدين والسياسة:

- في العديد من الثقافات الدينية، خاصة في الفكر **الإسلامي** و**المسيحي** و**اليهودي**، يعتبر الدين هو الأساس الذي يحدد طبيعة السلطة وشرعيتها.
- **في الفكر الإسلامي:** الدين هو المصدر الأساسي للتوجيه السياسي، حيث يتوجب على الحاكم تطبيق **الشريعة** الإسلامية لضمان العدالة والرفاهية. يتركز النقاش حول مفهوم **السلطة الإلهية** و **العدالة** في الحكم، ويُنظر إلى الحاكم باعتباره **خليفة الله على الأرض.**
- **في الفكر المسيحي:** خصوصًا في العصور الوسطى، كان يُنظر إلى السلطة الملكية على أنها **حق إلهي**، حيث يُعتبر الملك ممثلًا لإرادة الله على الأرض. مع تطور الفلسفة السياسية المسيحية في العصر الحديث، تطور الفكر إلى تساؤلات حول **الحرية الفردية** و **التفكير العقلاني.**
- **في الفكر اليهودي:** هناك تأثير ديني واضح في نظرية الحكم، خاصة في الأطر التي كانت تحكمها **الأنبياء** أو أنظمة **الملوك المعيّنين من قبل الله.**

ب. الحاكمية والعدالة الإلهية:

- العديد من المفكرين الدينيين اعتبروا أن السلطة السياسية يجب أن تتأسس على **العدالة الإلهية** .في الإسلام، مثلاً، يُعتبر **العدل** جزءًا أساسيًا من **العدالة الإلهية** التي يجب أن يلتزم بها الحاكم.
- في المسيحية، كانت الفكرة المسيطرة هي أن الحاكم هو **راعي للإنسان** وعليه أن يطبق المبادئ الإلهية مثل **المحبة** و **الرحمة** و**العدالة.**

ج. مبدأ "الحق الإلهي" و "الشورى"

- **الحق الإلهي** :في العصور الوسطى، كان العديد من الحكام يبررون سلطتهم السياسية بمبدأ "الحق الإلهي"، حيث كانوا يزعمون أن الله هو من منحهم السلطة السياسية.
- **الشورى** في الفكر الإسلامي: أحد المبادئ المهمة في الفكر السياسي الإسلامي هو مبدأ **الشورى**، الذي يعني استشارة أهل الرأي في اتخاذ القرارات السياسية. وهي طريقة لحفظ توازن السلطة وعدم تحوّلها إلى استبداد.

د. مفهوم الدولة المثالية في الفكر الديني:

- **الفكر الإسلامي** :المفكرون مثل **الفارابي** و **ابن رشد** تحدثوا عن فكرة **المدينة الفاضلة** التي تقوم على العدالة والمساواة. وهي دولة يسعى فيها الحاكم إلى تحقيق **الخير العام** وفقًا للمبادئ الدينية.
- **الفكر المسيحي** :كان الحديث عن "المدينة السماوية" التي يسعى فيها المؤمنون إلى العيش وفقًا للمبادئ المسيحية.

2- الأسس المعرفية السيكولوجية للنظرية السياسية: الأفكار السيكولوجية قد تكون أساسًا لفهم الديناميكيات السياسية بطريقة مختلفة عن الأسس الدينية أو العقلانية البحتة، هذه الأسس تركز على الطبيعة البشرية، الاحتياجات النفسية، والدوافع الفردية والجماعية في تشكيل الأنظمة السياسية.

أ. نظرية الطبيعة البشرية:

- **سيغموند فرويد** :كان لفرويد تأثير كبير في فهم الطبيعة البشرية، بما في ذلك رغبات الإنسان اللاواعية، التي قد تؤثر في السياسة. وفقًا لفرويد، قد تدفع الرغبات المكبوتة أو الغرائز العدوانية الأفراد إلى الانخراط في الصراعات السياسية.
- **توماس هوبز** :في "الإنسان(Leviathan) "، اعتبر هوبز أن الإنسان في حالته الطبيعية يميل إلى العنف والأنانية، ما يستدعي وجود **سلطة قوية** (حكومة مركزية) لفرض النظام. وهذه رؤية سيكولوجية تؤكد على أن الطبيعة البشرية قد تكون مدمرة إذا لم تُضبط.
- **جون لوك** :على العكس من هوبز، رأى لوك أن الإنسان بطبعه يمتلك القدرة على العيش بسلام مع الآخرين إذا كانت هناك ضوابط قانونية وحكومة تحمي حقوقه الطبيعية.

ب. السيكولوجيا الجماعية:

- **نظرية العصبية الجماعية** :يشير بعض المفكرين مثل **غوستاف لو بون** في عمله "سيكولوجية الجماهير" إلى أن الناس في المجتمعات الكبيرة أو الجماهير قد يفقدون فرديتهم ويصبحون عرضة للاندفاع وراء القيم والأيديولوجيات الجماعية، حتى لو كانت غير عقلانية.
- **القيادة والكاريزما** :يمكن أن تؤثر الشخصيات القوية والكاريزمية في تحديد مسارات الأنظمة السياسية. وهذه النظريات السيكولوجية تؤكد أن هناك علاقة متبادلة بين **الزعامة** و **النفوذ الجماعي**.

ج. نظرية الهوية السياسية والأنماط النفسية:

- بعض المفكرين النفسيين يرون أن **الهوية السياسية** تتشكل من خلال العوامل النفسية مثل **الولاء، الانتماء الجماعي**، و **الشعور بالتهديد** .يتبنى هذا التحليل أحيانًا مفهوم "التحليل النفسي السياسي" لفهم كيفية تأثير **التهديدات الخارجية** أو **الأزمات الداخلية** على الانتماء السياسي للأفراد.
- **نظرية المواقف النفسية** :تقول هذه النظرية أن المواقف السياسية للأفراد تتشكل بناءً على تجاربهم الشخصية، وعوامل نشأتهم، وردود فعلهم النفسية تجاه الأحداث الاجتماعية والسياسية.

د. أثر الأيديولوجيات على النفس البشرية:

- الأيديولوجيات السياسية تشكل طريقة تفكير الناس وتعكس تطلعاتهم النفسية. فالأيديولوجيات التي تروج للعدالة، الأمن، أو الحرية يمكن أن تلبي احتياجات نفسية عميقة مثل الحاجة إلى **الاستقرار** أو **الانتماء** أو **التحقق الذاتي**.

الخلاصة:

- **الأسس الدينية للنظرية السياسية** تهتم بكيفية تأثير القيم الدينية على شكل الدولة والحكم، حيث يُنظر إلى الدين كمصدر للشرعية السياسية، ويُعتبر الحاكم مسؤولًا عن تطبيق مبادئ الدين لتحقيق العدالة وحماية المجتمع.
- **الأسس السيكولوجية للنظرية السياسية** تركز على دور العوامل النفسية والفردية والجماعية في تشكيل الأنظمة السياسية. تؤكد هذه الأسس على أن النفس البشرية، سواء في المستوى الفردي أو الجماعي، تلعب دورًا محوريًا في فهم السلطة السياسية، اتخاذ القرارات، والسلوكيات السياسية.

وعليه، كلا الأساسين، الديني والسيكولوجي، يساهمان في رسم تصورات معينة حول كيفية إدارة السلطة والسياسة، ولكن كل منهما يُظهر جوانب مختلفة من التجربة البشرية في علاقاتها مع الحكم والنظام السياسي.